الصوم

الصوم لغةً، هو ترك الطعام والشراب والكلام والمعاشرة والعزوفُ عنها.

وقوله عز وجل: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا..﴾ (مريم: ١٩) قيل معناه (مصمتًا). ويقويه قوله الله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ (مريم: ٢٧). ومع أن للصوم مناحي كثيرة في سنن الطعام والشراب والفطر والإمساك وغيرها.. إلا أننا اخترنا لهذه الكلمة الوجيزة: خُلق الصوم عن الكَلام.

والكلام هو الإفصاح والإبانة عما يختلج في صدر الإنسان – هذا المخلوق العجيب الذي جبله الله تعالى من مشاعر وأحاسيس وعقل وفكر ونزعات وجذبات لا حدَّ لها ولا حصر.. باسمًا، عابسًا، ضاحكًا، باكيًا، راضيًا ساخطًا، (منتشيًا) مطرقًا، كأنه قرص عبّاد الشمس؛ إذا النفس دارت، دار حيث تدور. وهو في كل هذه الأحوال يقف بين النفس واللسان كحال الذي وقع بين المطرقة والسندان. فإن أطلق لسانه بالقول المعروف، كان ذلك خيرًا، وإن هو استسلم للنفس الأمارة ولمشاعر السخط والغضب وأطلق للسانه العِنان يقذف البذيء من الكلام والقبيح من الأوصاف والنعوت وقع عليه غضب الله والناس.

من هنا قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». وقال: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب». ورحم الله الإمام الشافعي، حيث قال:

لسانَك لا تذكُرْ به عورةَ امرئ فكلُّك عوراتٌ وللناس أَلْسُنُ

وأدب الكلام هو من أوليات سمات الإنسان المسلم حتى مع ألد أعداء الله تعالى، كفرعون مصر، حيث قال عنه الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٥). فكم بالحري إن كان المقصود أخاك المسلم الذي تجمعك به أصول العقيدة والملة.

فعلينا أن نعي إذًا، وخصوصًا في شهر الصيام، أن اللسان عظيمٌ خطره، ولا نجاة من خطره إلا بإلجامه بلجام التقوى، فلا نطلقه إلا فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة. ومن الآداب ألا يتكلم إنسان إلا بقدر الحاجة، ولا يغالب أحدًا على كلامه، وإذا سئل غيره فلا يجب عنه، ولا ينازعه، ولا يره أنه أكثر منه علمًا وأعمق فكرًا، وأن يجتنب فيما يقول ثلاث آفات هي البغضى عند الله والقبحى عند الناس: **الكذب والغيبة والنميمة**.

﴿... وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٣)

فيا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين. ويا أيها الذين آمنوا لا تقولوا للناس إلا حسنًا. ويا أيها الذين آمنوا، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت. ويا أيها الذين آمنوا لا تتحدثوا بما لا يعنيكم. وإذا عرض لكم في رمضان عارض يُغضبكم فلا تزيدوا أن تقولوا:

اللّهمَ إنِّي صَائِم.

موسى أسعد